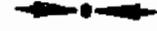


فلسفة التربية

تطبيقات علي التربية في مصر

للأستاذ محمد حسن ظاظا



« ترجع بعض أسباب « الاضراب » إلى أن الطلبة يتصورون نظام المدرسة مفروضاً عليهم ، ويتصورون أنفسهم جزءاً منفصلاً عن ذلك النظام . ! »
 « لا يستطيع ذو الساعد القوي إلا أن يوجد في المدرسة نظاماً آلياً لا روح فيه . ! »
 « يجب أن يعرف الطلبة أنهم عندما يثورون وضربون إنما يفعلون ذلك ضد أنفسهم . ! »
 « لنا زيد أولئك الأساتذة الذين يلقنون الطلبة العلم غيب ، ولكن أولئك الذين يمدونهم أيضاً في أشياء كثيرة ويوحون إليهم أمثال أساليب الحياة . ! »
 « من رسالة الدكتور جاكس »

٥ - النظام

تناولتُ في المقال السابق أزمة المتعلمين الماطلين ببعض الشرح والتليل ، وقدمت بعض ما ينبغي أن يُؤخذ به درءاً للخطر وتلانياً لتنتائج القرية والبيدة ، وسأتناول اليوم ناحية أخرى هامة هي ناحية النظام المدرسي وأثره في نفوس النشء :

١ - النظام الحاضر

ولمَّا تدرى ما هو النظام الحاضر وما هي نتائجه ا لملك تعرف أن « الآلية » تغلب على ذلك النظام إلى حد خطير يجعل المدرسة غير محبوبة ، ويجعل « الاضراب » محتملاً لأهون الأسباب ! ولملك تعلم فداحة نسبة الغياب والتأخر في معاهدنا وكثرة ما يحتاج إليه من عقاب وخصم وتنبيه وتحذير في كل صباح ! أجل ، ولملك تعرف بعد هذا ما قد يحدث من هروب بالليل أو بالنهار ، ومن « تزويغ » من بعض الدروس إذا اقتضى الحال ! ومن حلول الفوضى والاضطراب إذا غفلت عين الناظر أو الأستاذ ، واختفت المعها وزال الوعيد والتهديد والرفض والانداز ! ! أجل ! ولملك تعلم أيضاً أن المدرس قد يلقي من العناية في حفظ نظام الفصل بعض ما يلقي من العناية في التدريس !

وأنه يحتاج أحياناً لأن يكون شرطياً أكثر مما يحتاج لأن يكون أستاذاً ! ! لملك تعرف ذلك كله ، ولملك تدرك منه أن « النظام » قائم عندنا على القوة والإرهاب أكثر مما هو قائم على الرغبة والشعور ، وأن ما يشوب حياتنا خارج المدارس من فشل أو فوضى بسبب انهدام النطق فيها إنما يرجع إلى أن المدرسة لم تفلح بعد في غرس النظام فينا وجعله دماً يجري في المروق قبل أن يكون مظاهر وقشوراً ! ! وإلى أنها لا تزال تبدو كريمة غير محبة ولا مفرية ، يهبطنا نظامها ، وبرهقنا عملها ، وتغفلنا واجباتها ، ولا ترى فيها بعد هذا من المتعة والنعيم ما قد يخفف من هذا الإرهاق وذلك الإيهام ! !

أترى لو كان الأمر على غير ما أقول : أكان الطلبة يضربون ويتركون فصولهم لمجرد استقبال زيد أو عمرو مهما قيل في ضعف الادارة المدرسية أو الإشراف الوزاري ؟ ؟

أترى لو كان حب النظام متغلغلاً في نفوس الطلبة : أكانوا يهددون بالاضراب كلما عنت لهم حاجة ، فإذا ما أضرَبوا انقلبوا إلى جماعات نائرة متمردة ، وأعلنوا على المدرسة معاملها وأمانها - وأحياناً ناظرها ومدرسيها - حرباً عواناً لا تبق ولا تذر ؟ ذلك إذا نظام آلي تمسقى بمفوض ! ، وذلك إذا نتأج خطيرة تسود حياتنا الخاصة والعامة وتجعل النشل والاضطراب نصيبنا المحتوم ؟ وإذا كان « النظام الحق » سر عظيم من أسرار النجاح تتحلى به الشعوب المنظمة كالإنجليز والألمان ، فما أحوجتنا في نهضتنا الحاضرة ومركزنا الحربى الدقيق إلى التحلى به والأخذ بروحه وتفصيله ... ؟ !

سبيل الاصلاح

ويرى الدكتور جاكسون أن الاصلاح إنما يتأتى عن طريق تعليم الطلبة كيف يحترمون « السلطة المشروعة » إذ ما معنى أن يتملك زمامهم نفر من خطيئتهم ومهيجهم ، ويقف ناظرهم وأساندتهم عاجزين حتى عن توجيه الكلام إليهم ؟ ؟ كذلك يجب ألا تقبل أبداً التهديد بالاضراب كوسيلة منتجة تحقق لهم طلباتهم ؛ وإعنا يجب أن نغاقب الداعين إلى الخروج على سلطة الناظر عقاباً صارماً رادعاً ، وألا نستجيب إلى طلباتهم إلا إذا اتخذوا في رفعها ومناقشتها الطريق المشروع والأسلوب اللائق

وأن نتيح له من ألوان الرياضة البدنية ما ينمي جسمه ويقوى عضله ويروح عن نفسه ويملئه أن الخسارة بحق خير من الفوز باطل، وأن المرى واحد والجميع يعملون متعاونين من أجله^(١) وأن تقدم له من الجوائز الأدبية والمادية ما يثير فيه روح المنافسة الشريفة، ويجيبه في العمل الذي قد جوزى عليه خيراً، ويجعل مجده الشخصي عائداً على مجد المدرسة كلها بالمعزة والخير . . . !!

بذلك وبغيره نوجد في المدرسة نظاماً حياً يمتد من اللب إلى حجرة الدرس، ويتحقق في حضور الرقيب كما يتحقق عند غيبته، وبذلك وبغيره نستطيع أن نخرج الرجل الاجتماعي المنشود الذي يرعى قوايين أمته، وبطبع عرفها، ويندمج في وحدتها الكبرى غير ناظر إلى رياسة تدبج اسمه، أو منصب يدر عليه الخير، أو شخص يحسده ويسمى إلى تحطيمه بالمنافسة الشريفة وغير الشريفة . . . !!

ولعلك تعرف بعد هذا أن قوام ذلك النظام المنشود إنما هو الناظر والمدرسون، فترى ماذا يمنع نظارنا ومدرسينا من أن يوجدوا هذا النظام في مهادهم؟ ذلك ما أدعوك اليوم إلى التفكير فيه، وما سأحاول أن أعرض لبعض نواحيه في العدد القادم . . .

« يتبع » محمد حسن تلاطا

مدرس الفلسفة بشبرا الثانوية الأميرية

(١) وكثيراً ما نطفي الرياضة على العلم عند بعض لا عيننا فيصبحون أبطالا في الكسل الدراسي والرسوب ويجدون مع هذا من المدرسة تهاونا مادامت تريد « الكأس » على أيديهم !!

بطلبة ينتقفون ويتهذبون !؟ أما نظام المدرسة الذي له ضلع كبير في تلك الحالة الشاذة فيجب أن يتبدل بحيث يصبح أكثر مرونة، وبحيث يشعر الطلبة أنفسهم أنهم جزء فيه لا يتجزأ !؛ وبذلك يصبح إضرابهم موجهاً ضد أنفسهم، ويصبح إخلاصهم للمدرسة خير ضامن لانتظامهم في عملهم واحترامهم لقانونهم . ويتطلب ذلك النظام الجديد منا أن نفهم الطفل خطأه قبل أن نثور عليه ونصخب في وجهه؛ وأن ننشد منه الطاعة المصحوبة بالرضا والاحترام قبل أن ننشد منه الخضوع المزوج بالرهبة والخوف؛ وأن نمامله معاملة ديمقراطية ونعرف له حقه كمضو في جسم حي متعدد الأعضاء؛ وأن نقنعهم بأن خطأه إنما يعود على المجتمع الذي هو عضو فيه مما قد يثير غضب هذا المجتمع عليه؛ وأن نجعل لجسم المدرسة غاية سامية في رأسه ونطالبه بالمساهمة في تحقيقها كمضو فعال في ذلك الجسم؛ وأن ندخل في المدرسة ذاتها من أساليب التمتع والإغراء والجمال^(١) والفن، ما يزيد في حمسه لها وشفقه بها حتى يمز عليه أن يتركها أو أن يمتدح بجلالها ووقارها؛ وأن نقدم له مدرسين من طراز خاص يستطيعون أن يمزجوا بنفسه، وأن يحدثوه في أشياء كثيرة، وأن يلقنوه أمثل أساليب الحياة؛ وأن نربط ما بين بيته وبين المدرسة برباط متين، فيلتقي الناظر والمدرسون في الآن بعد الآخر بأهله مجتمعين مع أهل زملائه في ساحة المدرسة حيث يدور التصح والارشاد، ويتحقق تماون المدرسة مع البيت على نحو مأمون^(٢)

وأن ندفع به إلى مختلف الجمعيات المدرسية حيث توفر له مجتمعاً صغيراً له غاية ولافراده من الحقوق والواجبات والقانون والنظام ما يؤهله لأن يكون عضواً حياً في جسم حي^(٣)

(١) ويلاحظ أن الكثير من مدارس الوزارة متأخر . وبعض هذا الكثير تصور لها جلالها وجلالها التاريخيان من غير شك ولكن نظامها المدرسي والصحي لا يلائم العمل الدراسي قط . لذلك يحسن بالوزارة أن تعمل تاجراً على أن تكون جميع مدارسها من النوع المنشود .
(٢) ويحسن أن يكون ذلك عدة مرات في العام الدراسي وأن يقوم الطلبة أنفسهم بإدخال الأهلو والسرور على أهلهم وأن يحظب الناظر والمدرسون في موضوعات تتصل بتربية الطلبة ومستقبلهم .
(٣) ويوجد بعض هذه الجمعيات بالمدارس ولكن لا ينتب إليها مع الأسف إلا القليل . ونادر جداً أن يتوفر في هذه الجمعيات الروح الاجتماعي المنشود .

أغلب مؤلفات
الاستاذ المشايخي
وكتابه
الاسلام الصحيح
من مكتبة الوفاء، شارع الفلكي (باب الدرة)
رسالة الكتب العربية المشرفة